العرب
الثلاثاء 2021/09/28
السنة 44 العدد 12193

الطوارق أو «بدون ليبيا»: تائهون في صحراء الإهمال دون وثائق ثبوتية

الدبيبة يبحث حلّ مشاكل فاقدي الجنسية العاجزين عن التمتع بحقوق المواطنة

وجــه رئيس حكومة الوحدة الوطنية الليبية عبدالحميد الدبيبة جهوده لحلّ مشــكلة الجنســية التي حُرم منها الآلاف من أفراد المجتمع طوال عقود، وفي مقدمتهم الطوارق الذين يعدون "ليبيين" على مستوى الهوية والانتماء الجغرافي، لكنهم لا يمتلكون مؤيدات قانونية، مما سيحرمهم من المشاركة في الاستحقاق الانتخابي المقرر في ديسمبر القادم.

ليبيون على الأرض «غير ليبيين» في الوثائق الرسمية

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

ينصــان على ضــرورة معالجــة أوضاع الطــوارق في البــلاد باعتبارهــم مكونا أصيلا، له كافة الحقوق الدستورية التي كفلها القانون لليبيين.

طرابلس – أصــدر رئيــس مجلــس وزراء حكومــة الوحــدة الوطنية الليبية عبدالحميد الدبيبة مطلع هذا الأسـبوع قــرارا بشــأن تشــكيل لجنــة مركزيــة للجنسية وتقرير بعض الأحكام.

وتختــص اللجنة بمراجعــة الإجراءات المحالة إليهــا من اللجــان الفرعية التي تتولــى اســتلام طلبات الحصــول على الجنســية الليبيــة، لأبنــاء المواطنــات الليبيــات، ولزوجــة المواطــن الليبــي والأرملــة الحاضنة والمطلقــة الحاضنة، وأبنــاء المواطن المتجنس الذيــن لم يتم إدراجهم بشــهادة جنســية والدهم، ومن كانــت أصوله ليبية ولم يســتطع إثبات انتمائه إلــى الأصل الليبــي، والقرارات التــي صدرت بمنح الجنســية والبت في مدى صحتها.

قرار مؤجل

وجــاء هــذا القــرار فــي ظــل ســلة إصلاحات تحاول حكومة الدبيبة تنفيذها، لاســيما في ما يتعلق بفاقدي الجنسية أو "بــدون ليبيــا" الذين يواجهــون حالة من التهميش منذ عقــود خلت، ويفتقدون إلى مستندات الانتماء، وبالتالي يعجزون عن حقوق المواطنة كالترشــح للمســؤوليات السياســية والتنظم الحزبــي والانتخاب والســفر والتوظيف في مؤسسات الدولة والتمتــع بالخدمات الأساســية والرعاية الاجتماعية والقروض والمنح المالية.

> **الطوارق حرموا مؤخرا من حق الترشح والتصويت في الانتخابات بعد أن تم اشتراط الحصول على رقم وطني**

واســتنكر رئيس المجلس الاجتماعي الأعلى لطوارق ليبيا مولاي اقديدي، عدم الالتزام بالبندين الثاني والثامن لخارطة طريــق الحل الشــامل في ليبيــا، اللذين ينصــان على ضــرورة معالجــة أوضاع الطــوارق في البــلاد باعتبارهــم مكونا أصيلا، له كافة الحقوق الدستورية التي كفلها القانون لليبيين.

ووفق مولاي اقديــدي، فإن قرابة 17 ألف أسرة طارقية ســتمنع من المشاركة في الاســتحقاق الانتخابي القادم، حيث أن "الحكومــات المتعاقبــة، لــم تصرف لهــم الرقم الوطنــي رغــم حصرهم من قبــل لجان حكومية منذ العهد الســابق ووجــود ملفاتهم لــدى مصالح الأحوال المدنيــة"، كما أن "هــؤلاء محرومون من كل الخدمــات التــي تســتوجب وجود أوراق ثبوتية كالعلاج والســفر والحج والتعييــن فــي المناصــب الحكوميــة، وليس التســجيل في السجل الانتخابي فحسب".

وكان هــؤلاء الطــوارق قد شــاركوا في انتخابات 2012 عندما تم فتح ســجل الناخبين للجميع، لكنهم حرموا مؤخرا من حق الترشــح والتصويت بعد أن تم اشتراط الحصول على رقم وطني.

وأعربت منظمة "إيموهاغ" الدولية عــن اســتيائها البالــغ ممــا وصفتــه بالإقصاء العنصري ضد مكون الطوارق في ليبيا، لاسيما في حق المقيدين في ما بات يعرف بالســجلات المؤقتة، وحمّلت الحكومة والمجلس الرئاســي مسؤولية ما آلت إليه الأوضاع الإنســانية السيئة لهذه الشريحة، مستنكرة في الوقت ذاته عــدم امتثــال الحكومة الحاليــة للمادة الأولــى مــن الاتفاق السياســي الليبي، التــي تلــزم الحكومة بضرورة تســوية أوضاع مواطنيها قبل الرابع والعشرين من ديســمبر القادم، وطالبــت بالإفراج الفوري عن قرارات الجنســية الصادرة منذ عقود.

وكان حــراك "لا للتمييــز ليبيــا تجمعنا" دعا الســلطات الرســمية إلى التدخل بشكل مباشر بشأن صرف الرقم الوطنــي لأبناء الطــوارق الذين يعانون الإهمــال والتهميــش الممنهج من بعض جهات الدولة.

واعتبــر رئيــس تنســيقية شــباب الطوارق السالك مختار أن "هناك شرائح موجــودة في الجنــوب الليبي، وحقيقة هــم ليبيون ولهم رقم قيــد، لا يريدونهم أن يكملــوا إجراءاتهــم الثبوتية، وهذا يحرمهــم مــن أبســط حقــوق العيش، كتشــغيل الشباب العاطل عن العمل منذ سنوات. الآن الشباب يتجه إلى الجريمة المنظمة وهذا شيء مؤسف".

ملف سياسي

وفيمــا يمثل طــوارق ليبيــا مكونا أساسيا من النســيج الاجتماعي للبلاد، إلا أن الآلاف مــن طــوارق دول مجــاورة كمالــي والنيجر وصلوا إلــى الصحراء الليبيــة خــلال الســبعينات مــن القرن الماضــي، فــرارا مــن حالة الجفــاف في مناطقهــم وســعيا للاندماج مــع أبناء عمومتهــم، ووجدوا ترحيبــا من الزعيم الراحل معمــر القذافي الذي كان يصفهم بعــرب الجنــوب، ويعتبرهم مــن أحفاد الفــاتح طــارق بــن زيــاد، وكان يبــدي نحوهم تعاطفــا أعطاه ســلطة معنوية ومادية عليهم، مــا جعلهم يطلقون عليه لقب "أمغار" أي قائد لهم.

وقــد نظــرت قــوى إقليميــة ومنهــا الجزائــر إلــى أن القذافــي يحــاول بناء كيان للطــوارق والاســتقواء بحضورهم الكبير في منطقة الصحراء الكبرى لتنفيذ طموحاته التوسعية، ففي العام 2006 دعا القذافي من مدينة تمبكتو شــمالي مالي، قبائل الطــوارق والجماعات العرقية التي تعيش في الصحــراء الكبرى إلى الاتحاد وإقامــة فيدراليــة واحدة، وهو مــا أثار غضب الجزائر التي اعتبــرت أن الزعيم الليبي تجاوز الخط الأحمر.

وينتشــر الطوارق في جنوب الجزائر وجنوب غرب ليبيا وشــمال مالي وشمال النيجر وشــمال بوركينا فاســو. وتمتاز مناطــق الطوارق فــي هذه الــدول بأنها مناطــق صحراويــة الأكثر جفافــا والأقل ســكانا مــن غيرهــا مــن مناطــق الدول المذكــورة، ولكن بالرغم مــن ذلك فإن هذه المناطق تحــوي أكبر مخــزون للطاقة في أفريقيا.

وبســقوط نظام القذافي غادر البعض منهم الأراضي الليبيــة عائدين إلى مالي وتشاد وهم في الغالب من الوافدين حديثا إلــى ليبيا، فيمــا تعرض البعــض الآخر إلى القتل والتشــريد، ولاسيما في مدينة غدامس الواقعة فــي المثلث الحدودي مع تونس والجزائر، كما تحمّل الطوارق وزر الولاء لنظام القذافــي ووجد الكثير منهم أنفسهم مشردين في مخيمات اللجوء.

ويطمــح الطــوارق للحصــول علــى الجنسية الليبية للاستقرار ونيل حقوقهم السياسية والاجتماعية، وهم لا يختلفون فــي ذلك عــن عشــرات الآلاف مــن قبائل وجماعات أخــرى لا تزال تعيش في ليبيا منذ عقود دون اعتراف رســمي بها، ومن بينها التبو، وقبيلة الجرامنة النازحة منذ أكثر من 200 عام من جنوب غرب الجزائر، ولا تزال العشــرات من الأســر منها تهيم في صحراء الحمــادة دون أوراق ثبوتية. ويطالــب الآلاف مــن التبــو بالجنســية الليبية، معتبرين أنفسهم ضحايا للنظام الســابق الذي قرر خلال حروبه المتقطعة مع تشاد من 1978 إلى 1987 منح الجنسية لســكان إقليم أوزو، ما جعلهم ينتشــرون في عدد من المــدن الليبية كالكفرة ومرزق وســبها، ولكن بصدور حكم محكمة العدل الدوليــة باعتبار ذلك الإقليم تشــاديا في العــام 1994 تم ســحب الجنســية منهم، فسعوا للتمرد على النظام في العام 2008.

وفي حين ســيحرم عشرات الآلاف من الليبيــين من حقهم الانتخابي كونهم دون جنســية، فإن الحكومة باتــت تبحث عن حــل قانونــي واجتماعي وإنســاني يرى مراقبون أنه لن يتحقق إلا بتجاوز النزعة السياسية للملف، وبالبحث عن منطلقات جديــة لفهم طبيعة القضية، ولاســيما أن الملــف يشــمل فئــات أخرى مــن المجتمع مــن غير الطوارق تمتلــك مؤيدات الهوية والانتمــاء الكامل إلــى الجغرافيا الليبية دون أن يتجسد ذلك على الورق.

الانشغال بحلّ الأزمة السياسية فقط يعمّق متاعب تونس

تونــس – تلقى القرارات المتواترة التي يتخذها الرئيس التونســي قيس ســعيّد منذ الخامس والعشرين من يوليو الماضي ترحيبا من شــريحة واســعة من الشعب التونســي، الذي يــرى في ســعيّد منقذا للبلاد من شلل سياسي عرقل تقدمها وكان حجر عثــرة أمام تحقيق أهــداف تنموية وطنية وجهوية.

ولكــنّ غيــاب الرؤيــة الاقتصاديــة للرئيس سعيّد، الذي يبذل جهودا قصوى لحــلّ المشــكلات السياســية الحالية بما فيها تعيين رئيس حكومة قادر على إكمال مســيرة مكافحــة الفســاد التــي يقودها ســعيّد، من شأنها أن تعمّق أزمات تونس وخاصة الاقتصادية منها.

وحــاول ســعيّد شــن حملــة لخفض أسعار عدة سلع وهاجم في عدة مناسبات جماعات ضغــط اقتصادية ومالية محلية قال إنها تنهش الاقتصاد وهدفها تكديس الأربــاح ولو بشــكل غيــر قانونــي، لكنّ تحركاته لم تحدّ من تفاقم الوضع.

وكانت الممرضة أميرة السويســي من بين الآلاف من التونســيين الذين خرجوا ليحتفلوا بقرارات الرئيس التونسي قيس ســعيّد الصــادرة في 25 يوليــو ووعوده بمحاربــة الفســاد واحتــواء الأســعار ومعالجة المشكلات المالية.

ولكــن هــذه المــرأة –وهــي أم لأربعة أطفــال– مثل بعض التونســيين الآخرين بــدأ صبرهم ينفد الآن مــع ما يقولون إنه افتقاده لخطة اقتصادية لإنعاش الاقتصاد العليل من انهيار وشيك.

وتقول السويســي إن راتبهــا البالغ حوالي 350 دولارا شــهريا لم يعد يواكب ارتفاع تكاليف المعيشــة مــع تضخم يبلغ 6.2 في المئة ومــن الصعب الحصول على قرض مصرفي بسبب شح السيولة.

وقالت "توقعنا انخفاض الأسعار. لكن انظر سعر الكيلوغرام من شرائح الدجاج ارتفــع في الأيــام القليلــة الماضية من 15 دينارا إلى 19 دينارا".

وأوقــف تدخــل ســعيّد فــي يوليــو المحادثات التي تأخرت كثيرا مع صندوق النقد الدولي بشــأن برنامج قروض، كان من المتوقع أن يمهّد الطريق أمام الحصول علــى المزيــد مــن المســاعدة الاقتصادية وتفــادي حــدوث أزمــة كبرى فــي المالية العامة.

ويقول المحلل الاقتصادي معز جودي إن "الوضــع حــرج للغاية فــي الاقتصاد والماليــة العامة على وجــه الخصوص.. نحن على وشك الانهيار منذ شهور".

لكنه يرى أن الأزمة السياســية الآن وغيــاب أي برنامــج ورؤيــة اقتصادية واضحــة يسـرّعان الانهيــار الكامــل.

وتوقــع أن خطط ســعيّد التركيز على السياسة يمكن أن تحوّل تونس إلى لبنان آخــر والذي يعيش في خضــم أزمة مالية وصفهــا البنــك الدولي بأنها مــن أعمق انكمــاش فــي التاريخ الحديــث. ودفعت ثلاثة أرباع ســكان لبنان إلى براثن الفقر وفقــدت عملتــه المحليــة 90 فــي المئة من قيمتها في العامين الماضيين.

وســعيّد، الذي أقال رئيــس الوزراء، وجمّد البرلمان، ومنح نفســه سلطة الحكم بمراسيم، لم يعيّن بعد حكومة جديدة ولم يعلن أي خطة سياســة اقتصادية شاملة ولم يصرح كيف ينوي تمويل العجز العام وتسديد الديون.

وحــذّر محللــون اقتصاديــون من أن ســعيّد قد يلجأ إلى البنــك المركزي لطلب طباعــة عملــة نقديــة في خطوة ســتفقد السلطات السيطرة على معدلات التضخم.

وســددت تونس أكثر من مليار دولار مــن الديون هذا الصيف مــن احتياطيات العملات الأجنبية، لكن يتعين عليها أيضا أن تجد حوالــي 5 مليــارات دولار أخرى لتمويــل العجــز المتوقــع فــي ميزانيتها وســداد المزيــد مــن القــروض الداخلية والخارجية.

ولا يزال سعيّد يتمتع بتأييد كبير من فئات واسعة من التونسيين الذين سئموا الفساد ويقولون إن يده نظيفة. لكن الشلل السياسي يضرّ بفرص إنعاش الاقتصاد.

ويقول رجل اســمه محمــد بينما كان يجلــس مع صديقين في مقهــى إنه عاطل عن العمل منذ أربع ســنوات ويشتكي من وضعه المادي السيء.

ويضيف محمــد "الوضع الاقتصادي هــو اختبــار حقيقــي للرئيــس. الوضع سيء". ويتابع "فتح الرئيس لنا باب أمل ونأمل ألا يغلقه بسرعة.. يجب أن يتجنب ســعيّد الشــعبوية. نريد أن نرى الرئيس يجتــذب الاســتثمارات ويوفــر لنا فرص عمل. هذا ما نريده".

وتشــير الأرقــام الرســمية إلــى أن معدلات البطالة بلغت 17.8 في المئة، وسط أزمــة اقتصادية غير مســبوقة في البلاد، أدت إلى عجز مالي قياســي تجاوز 11 في المئة في 2020.

وانكمش الاقتصاد بنسبة 8.2 في المئة العام الماضي بينما دفع عجز بنسبة 11.5 فــي المئة الدين العام إلــى 87 في المئة من الناتج المحلــي الإجمالي وفقــا لصندوق النقد الدولي.

ولا يرى كلّ من الاتحاد العام التونسي للشــغل ذي التأثيــر القــوي والمقرضــين الأجانــب خيــارات ســوى اســتئناف التفاوض مع صندوق النقد الدولي.

وبينمــا تحتــاج تونس نحــو أربعة مليــارات دينــار شــهريا لدفــع الأجــور وتســديد الديــون، فإن المبالــغ في خزانة الدولة تبلغ 544 مليون دينار فقط، بحسب بيانات البنك المركزي الصادرة الاثنين.

وساعد الغضب من الركود الاقتصادي، الــذي تفاقم بســبب الوباء، فــي دفع دعم واسع النطاق على ما يبدو لتدخل الرئيس التونسي في 25 يوليو.

ولكــن ســعيّد يتعــرض الآن لضغوط متزايدة لمعالجة المشكلات الاقتصادية في تونــس بعد أن عرّضت الأزمة السياســية المكاســب الديمقراطيــة التــي فــاز بهــا التونســيون في ثــورة 2011 التي أطلقت شرارة احتجاجات الربيع العربي للخطر.

معز الجودي
الأزمة السياسية وغياب رؤية اقتصادية واضحة يسرّعان الانهيار الكامل

وقــال ســعيّد إن إجراءاتــه ضرورية لإنقــاذ البلاد من الانهيــار ولمعالجة أزمة الشــلل السياســي والركــود الاقتصادي والاســتجابة الضعيفــة لوبــاء كورونا. وتعهــد الرئيــس التونســي بالدفاع عن الحقــوق مكــررا أنــه لا يمكــن أن يكون دكتاتورا.

ولــم يضــع الرئيــس ســعيّد أي حدّ زمنــي لإنهــاء الوضع الضبابــي للحياة السياسية في تونس، لكنه قال إنه سيعين لجنة للمساعدة في صياغة تعديلات على دستور 2014 وإرساء "ديمقراطية حقيقية تكون فيه السيادة الحقيقية للشعب".

ترحيب بأي قرار بإمكانه إنقاذ البلاد